

## الأزمة الليبية تلقي بظلالها على أدلب

رانيا مصطفى

الإيرانية، بعد أن كانت موسكو تتحفظ على مشاركة طهران في معارك إدلب. وفي محيط إدلب وريف حماه تتواجد 34 نقطة عسكرية إيرانية، باتت كلها مشاركة في معارك إدلب، فيما تلقي النظام السوري دعماً اقتصادياً كبيراً، تمثل بالخط الائتماني الإيراني، الذي بلغت قيمته حتى اليوم 5.5 مليار دولار. وستسترد طهران ديونها عبر عقود استثمار مستقبلية، تتنافس مع موسكو في الحصول عليها، وكان آخرها مشروع قانونين أقرهما مجلس الشعب، لصالح روسيا وإيران، حول تأسيس شركة مصفاة الرصافة في الرقة، وتطوير شبكة خطوط أنابيب لنقل النفط باتجاه مرفأ طرطوس الذي تسيطر عليه روسيا.

ومن الممكن أن يتأثر الصراع في سوريا بما سيلي مقتل قاسم سليماني، من تصعيد أمريكي - إيراني في المنطقة، قد لا تتوقف حدوده في العراق ومناطق الخليج العربي، حيث من المرجح انتقاله إلى الأراضي السورية، ومن المتوقع تكثيف الغارات الإسرائيلية على المواقع الإيرانية في سوريا.

روسيا وقوات النظام غير قادرتين على التقدم في إدلب دون مشاركة إيرانية، وبالتالي الحاجة العسكرية الروسية إلى إيران في إدلب ستجعل موسكو مستمرة في حلفها مع طهران، فيما تغض النظر عن الهجمات الإسرائيلية في مناطق سيطرتها داخل الأراضي السورية.

في كل الأحوال الولايات المتحدة الأميركية ما زالت متواجدة في سوريا، مختصرة هذا التواجد بالسيطرة على حقول النفط والغاز شرق الفرات، ومنعها عن النظام، وبالتالي منعها أيضاً عن روسيا وإيران. هذا يعني أن بيدها أوراقاً حاسمة للضغط على روسيا، وتعتلي حلولها بإعادة تأهيل النظام؛ وغير النفط هناك العقوبات التي تفرضها على النظام السوري، وعلى المتعاملين معه.



**سبب تصاعد المعارك الضاربة في إدلب، هو تعطيل الاتفاق من قبل روسيا، بسبب المستجدات المتعلقة بالتدخل التركي في الملف الليبي؛ فقد اتخذت روسيا قراراً باستئناف المعارك**

وبالتالي، وبعد فشل مسار اللجنة الدستورية في جنيف، على روسيا التفكير في حلول أخرى، تتعلق بتغييرات في النظام، وتقليص التواجد الإيراني في سوريا، ضمن توافق مع واشنطن ترعاها إسرائيل. وحتى توفر فرص حصول ذلك التوافق، الذي لا يبدو أن واشنطن مهمة به، تعمل موسكو على إتمام سيطرتها على كامل سوريا؛ بترتيب وضع شرق الفرات، ومحاولة تحقيق تقدم في ملف فتح الطرق الدولية في إدلب.

لكن التدخل الروسي والتركي في الملف الليبي، لدعم طرفين متناقضين، يعرقل خطط روسيا في التوافق مع تركيا، ضمن تحالفهما المؤقت، واستكمال السيطرة على كامل الأراضي السورية، والذي بداته بمسار أستانة، وبمشاركة الضامنين التركي والإيراني، وبانتظار ما سيقع عليه فلاذيمير بونين وأردوغان في القمة المنتظرة في الثامن من الشهر الجاري، في أنقرة.

بعد هدنة قصيرة مترافقة مع زيارة الوفد التركي، رفيع المستوى، إلى موسكو في الأسبوع الأخير من العام الماضي، في محاولة للتوصل إلى اتفاق جديد يخص إدلب، عادت المعارك الضارية، وطارد القصف الروسي النازحين؛ ففي اليوم الأول من العام الجديد استهدفت الطائرات الحربية الروسية مدرسة في مدينة سرمين، شمال شرق إدلب، تؤوي نازحين، وقتلت تسعة مدنيين بينهم أطفال.

وسبب تصاعد المعارك الضارية في إدلب هو تعطيل الاتفاق من قبل روسيا، بسبب المستجدات المتعلقة بالتدخل التركي في الملف الليبي؛ فقد اتخذت روسيا قراراً باستئناف المعارك، وحشدت فرق النظام، واستعانت بالمليشيات الإيرانية، العاملة على الأراضي السورية، وذلك عقب الزيارة التي قام بها الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، إلى تونس، لتشكيل حلف تركي تونسي جزائري قطري، يدعم حكومة الوفاق الوطني بقيادة فايز السراج، في المؤتمر المزمع عقده في ألمانيا في الفترة القريبة القادمة، للتوصل إلى حل، بعد الهجوم الذي قامت به قوات المشير المتقاعد، خليفة حفتر، على العاصمة طرابلس، وبدعم فرنسي إماراتي سعودي مصري، ودعم روسي، تمثل بإرسال مقاتلين مرتزقة من شركة فاغنر الروسية الخاصة، لمساندة قوات حفتر.

تركيا بدورها بدأت بإرسال مرتزقتها من السوريين الموالين لها، إلى ليبيا، لمساندة حكومة الوفاق، بعد طلب رسمي ليبي بذلك، استناداً إلى اتفاقية ترسيم حدود النفوذ البحرية والتعاون الأمني، الموقعتين من الجانبين التركي وحكومة الوفاق. في حين أن روسيا تعترض إرسال مرتزقتها السوريين لمساندة حفتر، إضافة إلى مرتزقة فاغنر، لينتقل الاقتتال السوري السوري إلى الأراضي الليبية، تحقيقاً لأجندات كل من موسكو وأنقرة؛ حيث بات وقف المجازر في إدلب مرهوناً بإتمام اتفاق يخص طرابلس.

ردت تركيا على التصعيد الروسي في إدلب بالسماح لـ150 مقاتل من الجيش الوطني، المتمركز في ريف حلب الشمالي، كانت تتحفظ على إرسالهم من قبل، وقد اتفقوا على هيئة تحرير الشام المسيطرة على إدلب، على القتال في الصفوف الأمامية، إلى جانب مقاتلي الجبهة الوطنية للتحرير العاملة في إدلب، إضافة إلى الألاف من المقاتلين من هيئة تحرير الشام.

وبالتالي تجري معارك ضارية في ريف مرة النعمان الجنوبي خصوصاً، مع شن الفصائل المعارضة هجوماً معاكساً، واستعدادها لمناطق كانت قد سيطرت عليها قوات النظام، وقتل العشرات منهم. وكان النظام قد أحرز تقدماً كبيراً بالاقتراب من مرة النعمان وتهجيرها، ومحاصرة نقطة المراقبة التركية الثامنة، لتضاف إلى نقطة مورك المحاصرة منذ بداية الصيف الماضي.

النظام من جهته يزج بقواته الأكثر شدة، الفرقتين الرابعة والسادسة، إضافة إلى ميليشيا العقيد سهيل الحسن، الملقب بالنمر، فيما استعان بقوات تابعة لطهران، مؤلفة من ميليشيات عراقية، ومقاتلين من الدفاع المحلي التابعين للحرس الثوري الإيراني وغيرها؛ حيث أنشئت غرفة عمليات مشتركة روسية - إيرانية بغرض التنسيق والاستفادة من الخبرات



أزمة إنسانية خطيرة

## التدخل العسكري التركي يوحد القوى الوطنية الليبية

السراج حفر قبره السياسي بيده باستدعائه قوة خارجية لبلاده



مظاهرات حاشدة منددة بالتدخل التركي

جمعة، والمعركة لن تمر بسهولة، لأن الطبيعة الديموغرافية تفرض طوقسها على جميع اللاعبين. على الصعيد الأول، متوقع أن يواجه المشاة الأتراك متاعب كبيرة، سواء كانوا من المرتزقة التركمان أو من العناصر النظامية، لأن القوى الوطنية الليبية التي أعلنت استعدادها للمواجهة تعرف البيئة التي تقاوت فيها، ما يمكنها من تحقيق انتصارات سريعة وتكبيد الخسائر فادحة، بما يفضي إلى تحويل المعركة العسكرية في ليبيا إلى معركة سياسية داخل تركيا.

ولأن هناك 184 عضواً في البرلمان رفضوا إرسال قوات عسكرية إلى ليبيا، فمن الصعوبة أن تمر أي خاسائر فادحة في الأرواح دون محاسبة سياسية، لأن عود المعارضة يشهد ويزداد قوة، وتلفت حلقائه تدريجياً حول رغبة أردوغان. ويتسع نطاق تملل بعض العناصر الحزبية رفضاً لهذه النوعية من المغامرات العسكرية.

على الصعيد الثاني، استخدام الطيران يحتاج إلى قواعد عسكرية في ليبيا أو دولة قريبة منها. وإذا كانت تونس التي التقى أردوغان رئيسها قيس سعيد الشهر الماضي أنكرت تقديم تسهيلات عسكرية محددة لأنقرة، ويصم المغرب على تغليب الحلول السياسية، فإن الوضع بات حرجاً أمام تركيا. فالجزائر التي تملك مساحة حدودية شاسعة مع ليبيا ترفض أصلاً منطلق الحلول العسكرية في هذه الأزمات وتلغظ التدخلات الخارجية، ولا يبقى سوى الحصول على قاعدة عسكرية داخل الأراضي الليبية.

هذا الاحتمال، قد تكون مصراة مهياة لتقديمه من خلال القاعدة التي تضمها الكلية الجوية هناك، وبها غرفة عمليات أدارتها عناصر تركية منذ فترة، ولم تكن بعيدة عن قصف واستهدافات طيران الجيش الليبي، وجرى تدميرها أكثر من مرة. بالتالي فأي طيران عدو يمكن أن يقع في هذه القاعدة، أو غيرها، سيتعرض للقصف، ما يشكل حرجاً بالغاً لأنقرة، يجبرها على التفكير مراراً في إرسال قوات برية أو جوية إلى ليبيا.

وفر أردوغان ومختلفة في حالة ليبيا. فهناك مؤسسة عسكرية محترفة يقودها المشير خليفة حفتر، لديها حد جيد من الإمكانيات يمكنها من إرهاق أنقرة والقتال أمامها بصورة مشرفة. كما أن طول المسافة، نحو ألفي كيلومتر، يعد عاملاً سلبياً للجيش التركي، ويضع في طريقه عثرات لوجستية بالجملة. تحتاج أي عملية عسكرية إلى عنصرين مهمين. الأول: وجود قوات مشاة على الأرض، والثاني: استخدام الطيران العسكري. وفي الحالتين هناك صعوبات

قوة خارجية للضغط والربط في بلاده. وأعاد إلى الأذهان التذكير بقصص سابقة بشأن تسليم تركيا ليبيا إلى الإيطاليين. وسيدركه التاريخ أنه نجح في توحيد الليبيين دون أن يدري. فخطواته الخارقة لناموس الحياة في ليبيا تمخضت عن نبذ الخصام بين الكثير من القوى الوطنية والائتلاف إلى العدو القادم إليهم من بعيد.

قام السراج بفعلة في لحظة يأس سياسي واختفى أو كاد بعدها. لا أحد يدري أين هو الآن، وما هي خطوته المقبلة؛ فالخاسبات التي بنى عليها فكرة توقيع مذكريتي التفاهم البحري والأمني مع أردوغان سببت فشلها عملياً، ولن تحضنه أو تحمي منصبه، ولن تضمن له مكاناً تحت أي سماء سياسية، حيث غاب أو غُيب الرجل وقد لا تظهر عليه شمس مرة أخرى.

لم يعرف أردوغان أو السراج الطبيعة الليبية جيداً، وتصورا أن التحالف بين الإسلاميين والمرتزقة والكتائب المسلحة سوف يدوم، ولن تطرأ عليه تغييرات هيكلية. فإذا كانت جماعة الإخوان صاحبة أفكار مؤبلة لا تحيد عنها، فالمرتزقة والمليشيات ليست لديهم هذه القناعة ويقاوتون مع من يدفع لهم أكثر ومن غلب. لذلك يمكن أن يتقلبوا على المشتددين في أي لحظة، أو يهربوا في منتصف المعركة تحت وقع الضغوط الشعبية، ما يسبب للإخوان متاعب كبيرة.

### تحديات الأرض والجو

شكك كل من راقبوا موافقة البرلمان التركي على إرسال قوات إلى ليبيا في إمكانية تنفيذ هذا الطلب، لأن المؤسسة العسكرية التركية لم تدخل اختباراً جدياً طوال السنوات الماضية، لا على الساحة السورية أو العراقية، وكانت تقوم بالدخول والخروج على السواحل البحرية. وتحكمت في تحديد التوقيت المناسب لها، ولم تواجه جيشاً نظامياً على الأرض أو في الجو أو في البحر. وكل معاركها تشبه حرب العصابات وفي مناطق قريبة من حدودها الجغرافية، ما جعلها تقاوت وكانها في نزهة عسكرية.

تبدو المسألة مختلفة في حالة ليبيا. فهناك مؤسسة عسكرية محترفة يقودها المشير خليفة حفتر، لديها حد جيد من الإمكانيات يمكنها من إرهاق أنقرة والقتال أمامها بصورة مشرفة. كما أن طول المسافة، نحو ألفي كيلومتر، يعد عاملاً سلبياً للجيش التركي، ويضع في طريقه عثرات لوجستية بالجملة. تحتاج أي عملية عسكرية إلى عنصرين مهمين. الأول: وجود قوات مشاة على الأرض، والثاني: استخدام الطيران العسكري. وفي الحالتين هناك صعوبات

تفعل أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بالتدخل العسكري التركي في ليبيا كورقة لتقسيم ظهر القوى المناوئة لهم. ووجد ما تبقى من أعضاء في المجلس الرئاسي وحكومة الوفاق ومجلس الدولة، ملاذهم في الرئيس رجب طيب أردوغان. ولم يدر بخلد هؤلاء هؤلاء أن هذه الخطوة قد تصبح وبالاً عليهم وتخربهم من المسرح السياسي، وربما من التاريخ الحديث.

في الأهمر بعد تصويرها بمنطقة جالبية وراعية للغزو.

لعل النداء الذي وجهته عائشة معمر القذافي قبل أيام، ولأول مرة منذ مقتل والدها على يد قوات حلف الناتو لرجال وحرائر ليبيا بالدفاع عن بلدهم، يعبر عن معان كثيرة، وسوف تكون له ارتدادات سياسية ومجتمعية كبيرة في مسار المواجهة الشاملة مع أي تدخل تركي حقيقي.

### قواعد للجيش الليبي

وصلت طلائع المرتزقة والإرهابيين الجدد القادمين من سوريا الذين أوفدتهم أنقرة أخيراً، وقدمت خدمة جليلة للمشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطني الذي أكد منذ بداية حملته العسكرية على طرابلس في 4 أبريل أنه يحارب المتشددين ويريد تنظيفها من الإرهابيين، وبدا كمن يخوض حرباً نيابة عن دول كثيرة لدحرمهم. ركزت حملة الدعاية المضادة من قبل حكومة الوفاق وحلفائها من الإخوان والمليشيات، على أن هدف حفتر السيطرة على العاصمة والهيمنة على مقاليد الحكم، في محاولة ترمي إلى تفرغ مقارنته لمكافحة الإرهاب بشأن طرابلس من مضامينها السياسية.

قدم الرئيس أردوغان الأدلة التي تثبت أنه يقود مجموعة من الإرهابيين ويشحنهم على مناطق الصراعات ويوظفهم لأغراضه، وفي مقدمتها ليبيا. وبالتالي لا توجد مبررات أمام المجتمع الدولي لعدم التعامل معه بهذه الصفة، وإعادة المزيد من الاعتبار للدور الذي يقوم به المشير حفتر، وتجاوز الدعاية السوداء التي حاول تنظيم الإخوان الصقها به. الأدهى أن التدخل التركي حول الاتهامات التي تلاحق الجيش الوطني بالحصول على مساعدات عسكرية من دول خارجية إلى واقع مرين. فالمناعات التي كانت تحول دون طلب ذلك مباشرة أسقطتها تفاهات السراج وأردوغان. وسوف يسقط تلقائياً الالتزام بحظر توريد الأسلحة إلى ليبيا وفقاً لقرار مجلس الأمن عندما يرى العالم الأسلحة التركية تدخل علناً وبلا استئذان، ما يمنح المبررات الكافية للجيش الوطني باستيراد ما يلزمه من معدات عسكرية.

حفر السراج قبره السياسي بيده، والصق بنفسه الآن لقب أول مسؤول رسمي ليبي في العصر الحديث يستدعي

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري



نجح الإخوان وأردوغان، ومعهما فايز السراج رئيس حكومة الوفاق، في توحيد صفوف القوى الوطنية الليبية المشتتة، على قاعدة إذا أردت أن تؤخذ شعباً فابجد له عدواً خارجياً. وقد جاء العدو التركي بنفسه من دون حاجة إلى اختراعه.

خرجت، ولا تزال، مظاهرات عارمة في مدن وقبائل ليبية مختلفة تندد بالمؤامرة التي نسجتها جماعة الإخوان وحكومة الوفاق. وهي عينة واحدة من الإيجابيات التي قدمتها تركيا للشعب الليبي. وتؤكد أن القدام أسوأ أمامها، إذا استجابت فعلاً لإرسال قوات برية وجوية وبحرية إلى ليبيا.

**خرجت، ولا تزال، مظاهرات عارمة في مدن وقبائل ليبية تندد بالمؤامرة التي نسجتها جماعة الإخوان وحكومة الوفاق. وهي عينة واحدة من الإيجابيات التي قدمتها تركيا للشعب الليبي**

مرت السنوات الماضية العجاف دون أن تتمكن الزعامات الرئيسية المتصدرة للمشهد من تجميع القوى المختلفة، وصرها في بوتقة واحدة للخروج من الأزمة. ولم يعرف كثيرون من يقاوت من وسط موجات متعددة من العنف. وتحوّلت ليبيا إلى ساحة للحروب بالوكالة، وفضاء لتصفية الحسابات الداخلية والخارجية، وأرض واعدة لجمع شمل المتطرفين والإرهابيين. نجحت الخطوة التركية في توجيه ضربة قاضية لنصار ثورة فبراير التي ركبها الإخوان واعتقد أنصارها أنهم قوة ديمقراطية وحدانية. أعاد السراج الحياة إلى مؤيدي النظام القديم الذي ظلت بعض القيادات الفاعلة مترددة في تحركاتها ومتخاذلة أحياناً في تصرفاتها، حتى جاءها حبل الإنقاذ، وبدأت تعلن عن حضورها بوضوح، خاصة أن معسكر مصراة القومي أخذ